

3

سلسلة روايات الشباب

الخضراء



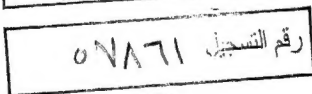
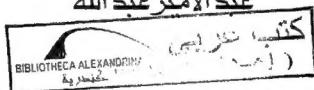
اهداءات ٢٠٠٢

مركز العالمية لدراساته و ابحاثه الكتابية الاخضر

ليبيا

الخنزراء

عبد الأمير عبد الله



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
طرابلس - ليبيا

الطبعة الأولى
1988 م.

حقوق الطبع محفوظة
للمركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
هاتف: 40705 - 45565 - مبرق: 20032 - 20668
ص.ب: 80984 - طرابلس - الجماهيرية

كان الابن الأصغر يقرأ بصوت عالٍ
أبيات من الشعر طلبت إليه مُدْرَسَةُ اللغة
العربية حفظها غيباً. تقول الأبيات :

سقف بيتي حديد ركن بيتي حجر
فاعصفى يا رياح وانتحب يا مطرُ
واسبحى يا غيوم واهطلى بالمطرُ
واقصفى يا رعود لست أخشى خطرُ
سقف بيتي حديد ركن بيتي حجرُ

عندما سمع الأب هذه الأبيات من
الشعر، ابتسم وقال بصوت خافت: معظم
البيوت سقوفها من الحديد. وأركانها من
الحجر. لكن الكثيرين ممن كانوا
يسكنونها اضطروا لتركها مطرودين
ليصبحوا تحت رحمة الحر والبرد والريح
والمطر...

التفت الابن الأكبر إلى أبيه وسأله
بدهشة: من الذى طرد الناس من
بيوتهم، ثم استدرك وقال: لا بد أن
يكون هذا من فصيلة الغول أبى الذهب.
ضحك الأب وأجاب: بل هو: أبو الذهب
نفسه، الغول نفسه الذى حدثتك عنه
سابقاً، عاد إلى الخضراء ليتقم من
أهاليها بأسلوب يختلف عن أسلوبه
السابق.

تقول الحكاية : كان مما كان فى سابق
الزمان ، كانت الخضراء .

* * *

رويداً . رويداً ، بدأت تعود الحياة
إلى الخضراء ، بعدما خرج الغول من
مصانعها . عادت الابتسامة إلى الشفاه .
والأغنية إلى الحناجر ، والقلوب التى
ملأها الأسى زمناً طويلاً عادت إليها
البهجة وطفحت بالحب ونبضت بالحياة .
عاد الأمل إلى النفوس فجادت بالعطاء
والكرم .

فى مصانع الخضراء ، بدأ المنتجون
يعملون بفرح وسعادة ، زاد إنتاجهم مما
أتاح لهم إشباع حاجاتهم واكتمال
حريتهم ، وتحول العمل فى المصانع إلى
ورشة فرح ، فبعدما كان العمال يعملون

وكانهم فى ماتم أصبحوا الآن يعملون
وكانهم فى عرس، عرس لقاء المنتج
بإنتاجه، عرس وفرحة لقاء المطر بالتربة
العطشى... والبضائع التى كانت تخرج
من المصانع مجبولة بالحزن والشكوى
والتذمر صارت تخرج اليوم مبتلة بعطر
الفرح والرضا.. خاصة بعدما استبدلت
آلات المصنع القديمة بآلات حديثة أقل
ضوضاء وأكثر إنتاجية. استطاع العمال
شراء المصنع الجديد من خلال حساب
حصّة المصنع فى الإنتاج. المصنع الجديد
وفرّ للعمال الراحة النفسية والجسدية.

بدت الخضراء وكأنها مهرجان فرح
دائم. كل شىء جديد. ملابس الأطفال
أحذيتهم وألعابهم، حتى أساليب اللعب
التي كان يؤديها أطفال الخضراء تغيّرت
هى أيضاً... وكم كان مضحكاً مشهد



جمع من الأطفال يمثلون ثورة المنتجين
على المستغل « أبى الذهب » .

صبايا الخضراء عادوا إلى الاهتمام
بتربية الزهور والورود. فى المساء كان
الصبايا يخرجن حاملات باقات من الورد،
يتنزهن فى شارع الخضراء الرئيسى، هذه
تحمل باقة من الورد الأحمر، وأخرى
تحمل باقة من الورد الأبيض، وثالثة
تحمل باقة من الورد الجورى... [غادة
الخضراء... لقب أطلقه الشباب على
تلك الفتاة الهيفاء ذات الشعر الطويل
والعينان الخضراوان والقَدَّ الرشيق،
والوجه الذى لوَّنه الخجل بالحمرة. كانت
تمر يوماً فسمعت من يقول:

يا قمر أضناني بَعْدَه
رُدِّي للولهان رشده

عجباً.. عجباً.. ماذا أرى

أظية حسن تحمل وردة

* * *

عاش أهالى الخضراء فى نشوة الفرح
والانتصار على سارق أتعابهم وإنتاجهم
« أبى الذهب » ولم يعرفوا أن « أبى
الذهب » لم يستسلم .

ذات يوم قال « أبو الذهب » لمدير
أعماله مرتزق : أعلم يا مرتزق أن أهالى
الخضراء سيقعون فى المصيدة من
جديد ... سأل مرتزق : أى مصيدة يا
سيدى ؟ أجاب أبو الذهب : سأبدأ بصناعة
الطعم وسيأكله السمك .

كان أبو الذهب قد شرع ببناء المنازل
وتأجيرها لأبناء الخضراء من العاملين فى
مصانعه منذ مدة طويلة ، وعندما اضطر

لترك المصانع ، استقدم عمالاً من البلدان المجاورة وأغرى بعض ضعاف النفوس من أبناء الخضراء ممن أدمنوا العمل كأجراء وكعبيد عند أبى الذهب ، وقام باستيراد آلات حديثة للبناء تفوق بقدرتها تلك الأساليب اليدوية التى يعتمدها أبناء الخضراء . . . تحولت الخضراء إلى غابة من الأسمنت والحجارة والحديد . صحيح أن البيوت القديمة التى تعود بناءها أبناء الخضراء أكثر جمالاً ورونقاً من البيوت التى بدأ أبو الذهب بينائها ، لكن بناء البيوت القديمة كان يستغرق زمناً طويلاً ، بينما بيوت أبى الذهب ، سريعة الإنجاز بفضل الآلات والرافعات التى استعملت فى عملية البناء .

أصبحت مشكلة السكن ملحّة فى الخضراء ، زاد عدد السكان فضاقت



المساكن بأصحابها ، حتى أن الجدّ سكن
فى بيت واحد مع أبناء أحفاده ، أصبح
البيت ضرورياً وراح الشباب الراغبين
بالزواج يستعجلون بناء البيوت . . . ولم
يكن باستطاعة العمارين والبنائين فى
الخضرا تلبية جميع المحتاجين إلى
البيوت .



« مساكن للإيجار » لافتات رفعت فى
شوارع الخضراء وأحيائها . مئات من
البيوت السكنية تبحث عن يسكنها ،
ومئات من العائلات تبحث عن بيوت تأوى
إليها .

« مؤسسة أبو الذهب العقارية » لافتة
ثانية رفعت فوق بناء حديث فى ساحة
الخضراء ، إنه مكتب أبو الذهب . أبو

الذهب نفسه الذى استعبد الناس فى
المصانع يريد استعبادهم هذه المرة من
خلال حاجتهم إلى البيوت .

بدأ الشباب فى الخضراء يتهافون على
استئجار البيوت . . . كانت فرحة أبى
الذهب كبيرة ، فقد التفت يوماً إلى مدير
أعماله مرتزق وقال له : السمك يأكل
الطعم أرايت كيف يعلق فى المصيدة .

فى مكتب أبى الذهب عقد اجتماع بين
أبى الذهب ومدير أعماله مرتزق ومحامى
المؤسسة وبعض الأعوان . خلال
الاجتماع قال أبو الذهب : سأعوض ما
خسرته فى المصانع من خلال رفع
إيجارات البيوت ، سأنتقم من العمال ،
وإن كنت لم أعد أستطع الانتقام منهم فى
أوقات العمل فى المصانع فسأنتقم منهم

فى أوقات الراحة فى بيوتهم ، ثم أشار
إلى محامى المؤسسة أمراً : ضع شروطاً
فى عقد الإيجار يكون لى الحق من
خلالها بإخلاء المنزل من ساكنه متى
شئت ...

تضمنت عقود الإيجار التى حددّها أبو
الذهب حرية المالك أى المؤجر بإلغاء
العقد متى شاء . وحقّه بتجديد العقد
سنوياً ورفع الإيجار . باختصار فقد وضع
العقد لمصلحة المالك - أى أبو الذهب .

قال أحد أبناء الخضرء بصوت جريح وهو
يخرج من مكتب أبى الذهب : خرجنا من فم
الغول فى المصنع ، وها هو يأكلنا فى حاجتنا
إلى البيوت ومن خلال عقود الإيجار . إننا
نعيش على كف عفريت ، العفريت «أبو
الذهب» وكفّه قانون الإيجارات وأضاف

الرجل: إننى أشعر أن سقف البيت الذى
سأسكنه من الورق. وأن ركنه من الرمل.

و ذات يوم دخل أحد أبناء الخضراء
واسمه أحمد إلى مكتب أبى الذهب . . .
أحمد الذى كان يعمل فى المصنع وقال
لمرتزق ذات يوم : هذا المصنع من
حقنا . كان مرتزق يجلس خلف مكتبه ،
يقلب أوراقاً ، نظر إلى أحمد ، عرفه .
هو العامل نفسه الذى كان أكثر العمال
احتجاجاً وثورة ضد الاستغلال ، القامة
الطويلة ، العينان السوداوان الواسعتان ،
الشعر، الأجعد ، والشامة فوق الخد
الأيمن . . .

صباح الخير يا مرتزق الصوت نفسه
أيضاً . هو أحمد من دون أدنى شك . قال
مرتزق هذا لنفسه وظلّ متشاغلاً . يعبث

ببعض الأوراق الموضوعة فوق المكتب .
لم يرفع رأسه بل قال بلهجة فاترة وأمرة من
دون أن ينظر إلى محدثه : تفضل
واجلس ، ثم عاد ليتظاهر بأنه منشغل
بالكتابة . رنّ جرس الهاتف ، وضع
مرتزق القلم ، تناول السماعة : آلو
نعم طال حديث مرتزق مع
الشخص الآخر ، وكان يتخلل الحديث
قصص وضحك وكلام فى أمور لا تخص
العمل وكان يتعمدها مرتزق . . . ضاق صدر
أحمد من طول الانتظار ، وقبل أن يهّم
بالانصراف وضع مرتزق سماعة الهاتف ،
ونظر إلى أحمد بعدما رسم ابتسامة خبيثة
وقال : أهلاً . . أهلاً أحمد . . . أظنك أحمد
الذى كان يعمل عندنا فى المصنع ! . [أجاب
أحمد : نعم هو نفسه الذى كان منتجاً فى
المصنع] .

كشّر مرتزق ويانت أسنانه عن ضحكة
صفراء وقال : ما زلت كما أنت يا أحمد
تحب المشاغبة، فلو قلنا لك اللبن أبيض
لقلت لا بل اللبن أسود . . . ضحك
أحمد وأجاب بكل ثقة : يكون اللبن
أسوداً فى حالات كثيرة ، إن كان مسروقاً
من فم ابن البقرة ، إن لم نكن عادلين
بتوزيعه ، وسرقنا حصة العجل من لبن
أمه ، فهذا اللبن يكون أسوداً . . . والخبز
المسروق من فم طفل جائع يكون أسوداً
أيضاً . . .

لم يعر مرتزق ، أى اهتمام لكلام
أحمد وسأله جاداً : أين تعمل الآن ؟
أجاب أحمد : ما زلت منتجاً فى المصنع
نفسه ، وأتقاضى حصتى من الإنتاج .

* وكيف حال المصنع القديم ؟ سأل
مرتزق .

أجاب أحمد : اشترينا آلات جديدة ،
تستطيع إنتاج عدد أكبر من السلع بواسطة
عدد أقل من المنتجين .

سأل مرتزق بعدما قطب ما بين
حاجبيه . باستغراب : ومن دفع ثمن
الآلات الجديدة . دفعها المصنع القديم
الذى نال ثلث الإنتاج . . . أجاب
أحمد .

هذا الحوار أعاد إلى ذاكرة مرتزق
النقاش الأخير فى المصنع وكيف خرج
يومها مع سيده أبا الذهب لا يلويان على
شئ ، فزاد ذلك من حقه وكرامته
لأحمد ، فوقف وبدأ يجمع أوراقه ثم
توجه بالسؤال إلى أحمد ، عن معنى هذه
الزيارة ، أجاب أحمد أريد استئجار بيت
من أبى الذهب ، لأننى أنوى الزواج
قريباً .

نظر مرتزق إلى ساعته وقال لأحمد :
بإمكانك الحضور غداً مصحوباً بشهادة
ميلاك وشهادة تثبت بأن سجلك خالٍ من
السوابق ، لأننا لا نؤجر للمشاعبين ...

أجاب أحمد : هذه شهادة ميلادي ،
أنا ابن الخضراء ، وهذا سجلي إنه ناصع
البياض ، لم أقتل ، لم أسرق ، لم
أكذب ، لم أغتصب مال الغير لم أجمع
مالاً حراماً من تعب الآخرين ، لم أستغل
أخوتي في الإنسانية والدين
والمجتمع ... لم ... أظلم أبناء
أمتي ، وعشيرتي ... لم ...

فتح الباب ودخل أبو الذهب مسرعاً ،
وجه التحية إلى مرتزق ، نظر إلى أحمد ،
فتح فمه وكأنه يريد ابتلاعه ، نظرة أبي
الذهب هذه ذكرت أحمد بأيام العمل في
المصنع . دخل أبو الذهب إلى مكتبه

مسرعاً ونادى بأعلى صوته : مرتزق أُدع
الموظفين أريد الاجتماع إليكم على
عجل .

ومن دون أن يلتفت إلى أحمد قال
مرتزق : انصرف الآن وعد في الغد .
خرج أحمد من مكتب أبي الذهب ، التقاه
أحد أصدقائه القدامى فسأله مداعباً ، متى
ستكون حفلة الزفاف : أجاب أحمد :
سيكون العرس يوم يصبح البيت لساكنه .



عندما بدأ أبو الذهب ببناء البيوت
اشتراط على المهندسين وضع خرائط
لبيوت لا تدخلها الشمس . تعجب
المهندسون من هذا الطلب ، فرفض
معظمهم العمل بهذا الشرط والإذعان
لرغبة أبي الذهب ، لكن بعض

المهندسين قبلوا بشروط أبى الذهب
وكانت البيوت ... بيوتاً لا تدخلها
الشمس وشوارع لا تتسع لمرور أكثر من
شخصين . مرتزق نفسه لم يعرف سبب ذلك
وعندما سأل سيّدة عن سرّ بناء بيوت لا
تدخلها الشمس ؟ أجابه أبو الذهب : من
الأفضل لنا نحن الإنسان أن لا يرى
المستأجرون النور ، الأفضل بالنسبة لى
أن لا يروا الشمس ... تجربة المصنع
علمتنى ذلك . سأثار من جميع الذين
عارضونى فى الخضراء ... سأنتقم منهم
جميعاً ، سأنتقم من الأخضر . والشمس
هى التى تعطى اللون الأخضر للحياة .



أحد المستأجرين أراد فتح نافذة تدخل
منها الشمس فى البيت الذى يسكنه ، منعه

أبو الذهب وقال له : يوجد شرط فى عقد
الإيجار يمنع المستأجر من فتح
النوافذ ... سأل المستأجر : ولماذا
فعلت هذا؟ أجاب أبو الذهب : لأننى أكره
الشمس ...



الأخضر لا يصير أخضراً من دون نور
الشمس .

الشمس هى الحرية وهى الحياة ذاتها
ومن يعيشون من دونها ، فأولئك هم العبيد
الذين لا يستطيعون مواجهة النور .

نحن أهالى الخضراء لم نكن عبيد
الظلام والظالمين .

لقد كان لنا مجداً . وسيبقى لنا
المجد على أرض أكثر صلابة وأخضراراً .
تتجدد نوراً فى شرايين الأرض ...

نوراً أخضراً ، كعيني غادة الخضراء .

كتبت هذه الكلمات على جدران
مكتب أبى الذهب العقارى . عندما قرأ
أبو الذهب هذه العبارات قال : لقد
حددت عقود الإيجار حقوق المستأجر
وحقوق المالك ومن أراد الاحتكام إلى
عقد الإيجار الذى وقَّعه مختاراً ومن دون
إكراه فأنا مستعد لذلك ، ومن يحب
الشمس والحرية ، فهو حرٌّ بأن يترك البيت
الذى يسكنه ويعيش فى الشمس .



راق لأبى الذهب أن يفاجئ
المستأجرين بين حين وآخر بضرائب
جديدة . فيوماً يرفع الإيجارات بحجة
ارتفاع أسعار مواد البناء ويوماً يطالب
بزيادة أسعار الكهرباء والمياه . وأن احتج

أحدهم على ذلك إجابة أبو الذهب : عد
إلى عقد الإيجار ، وأنا مستعد للاحتكام
إليه .

ذات يوم خطر لأبى الذهب أن يتلاعب
بصنابير المياه فأخذ يفتحها تارة ويقطعها
تارة أخرى ، غضبت سيدات الخضراء من
سلوك أبى الذهب ومزقن وكسرن اللافتة
التي تحمل عبارة «بيوت للإيجار» ورفعن
مكانها لافتة أخرى كتبن عليها : «بيوت
للاستعباد ، قبور لا تدخلها
الشمس» . . . وفى اليوم الثانى كتبت
شعارات على جدران البيوت وفى ساحة
الخضراء تقول الشعارات :

سرقوا الشمس من الخضراء،
ونحن نعارض بالهمس
منعوا النورَ قطعوا الماء،

فاليوم أتعسُّ من أمسِ
هياً . . . قولوا من دون رياء .
الغول يعبث بالشمسِ

تحمس أطفال الخضراء بغضب
أمهاتهم من سلوك أبي الذهب ، فاتفقوا
فيما بينهم على أن ينصبوا كميناً لأبي
الذهب . . . كمن الأطفال في زاوية
بالقرب من مكتب أبي الذهب العقارى ،
وصل أبو الذهب إلى المكتب ، وما أن
ترجل من سيارته مرتدياً بذلته البيضاء
وحذاءه الأبيض ، حتى كانت المفاجأة
المضحكة . فقد بدأ الأطفال بضرب أبي
الذهب بشمار الطماطم الناضجة والببيض ،
حدث ذلك خلال ثوانٍ معدودات ، ثم
توارى الأطفال عن الأنظار .

كان مشهد أبي الذهب مضحكاً بالنسبة

لأهالى الخضراء الذى صادف وجودهم
خلال الحادثة . لكن مشهده كان مرعباً
بالنسبة لمدير أعماله مرتزق . . .

عندما رأى مرتزق أثار سائل الطماطم
على ثياب سيّده البيضاء اعتقد جازماً أنها
آثار دم ، وأن سيّده تعرض لاعتداء ، فأدار
بسرعة قرص الهاتف واتصل برجال
الإسعاف طالباً إليهم الحضور على عجل
مع سيارة الاسعاف كان يقول بأعلى صوته :
أبو الذهب أصيب بجراح خطيرة . . .

دخل أبو الذهب إلى المكتب وهو
ينهار باللعنات متوعداً المستأجرين الذين
حرضوا أطفالهم على ضربه بشمار
الطماطم ، عند ذلك عرف مرتزق أن ما
حدث ليس سوى احتجاج أطفال ، فقال
لسيّده ، لقد اعتقدت فى البداية أن ما



أصابك هو ناتج عن جراح وأن سائل
الطماطم هو دمك ...

وصل رجال الإسعاف . دخل الجميع
إلى مكتب أبى الذهب ... لست
جريحاً ، ماذا جرى إذن : بعض الصبية
والفتيان ضربونى بثمار الطماطم . قال هذا
لأحد رجال الإسعاف ، فما كان من
المسعف إلا أن انفجر ضاحكاً وقال لأبى
الذهب : مدير أعمالك اتصل بنا وقال أن
جراحك خطيرة ، وعلى أى حال فإننى أود
معرفة أسماء الأطفال المشتركين فى هذه
المؤامرة ، قالها المسعف وهو يبتسم ،
وينظر إلى زميله .

قالها بسخرية وشماتة ، فهو الآخر كان
أحد المستأجرين الذين عانوا ويعانون من
ظلم وطغيان أبى الذهب .



ظلّ أبو الذهب واقفاً ، لا ينطق بكلمة
واحدة ، طال صمته فضاق صدر مرتزق
وقطع الصمت بالقول : ما بالك لا تتكلم
يا سيدى ، لماذا أنت خائف ، أنا الذى
أصابنى الخوف ، لقد ظننت أن الأحمر
على ثيابك دم . أجاب أبو الذهب : أنا
خائف يا مرتزق ، ثم تنهّد ومدّ يده إلى
منديله ، مسح العرق عن وجهه ونظر بيأس
إلى مرتزق وأضاف :

اسمع يا مرتزق الأبناء سرّ الأباء ، وقد
قال المثل : « خذوا أسرار الكبار من
الصغار » « خذوا أسرارهم من
صغارهم » ، أسرار الكبار فى الخضراء
قالها صغارهم ، احتجاج الصغار كان
ضربى بالطماطم ولو جاء الاحتجاج من
الكبار ، فسيكون بحجمهم ربما كان

رجمى بالحجارة أو بإطلاق الرصاص
على... وتابع حديثه بعدما صدرت عنه
آهة: أنا خائف يا مرتزق... ساعدنى يا
مرتزق...

أطرق مرتزق لحظة وقال لسيده: لا
داعى للخوف من صبينة لا يعون
تصرفاتهم... غداً نتصل بمدير
المدرسة . فيأخذ التدابير بحق هؤلاء
الصبينة المشاغبين...

طرق الباب ، دخل جابى « أبى
الذهب». المكلف بجمع إيجار
المنازل ، نظر أبو الذهب إلى المال ،
ضحك ملء فيه وقال لمرتزق افعل
كالعادة ، من أراد استبدال الأرض بالبيت
فنحن حاضرون... ثم ألتفت إلى
الجابى وسأله : هل تمنع أحد عن دفع

بدل إيجار الشهر ؟ أجاب الجابى هو نفسه : مضى ستة أشهر من دون أن يدفع إيجار البيت . . . غداً يصله الإنذار بإخلاء البيت . قال أبو الذهب هذه الكلمات ونظر إلى مرتزق وسأله : ألا يملك هذا المستأجر أرضاً نشتريها منه ليدفع لنا بدل الإيجار ؟

* نعم يملك يا سيدى . لكنه رفض بيعها ، وأصر على ذلك . فقد قال لنا : الأرض لا تباع .

* * *

تكررت حوادث إخلاء المنازل من ساكنيها ، أصبحت الخضراء ترفل فى حزن عميق فتيات الخضراء أهملن ما زرعن من ورود وزهور ، فبدت الشرفات صفراء حزينة ميتة وزاد من ذلك أن أبا

الذهب بالغ بتقنين المياه . وعندما سئل
عن سبب ذلك

أجاب : المياه فى البيوت حددت
بعقود الإيجار لتكون للبشر ، تكفى
حاجاتهم من مياه الشرب وللاستحمام
والغسيل مرة واحدة فى الأسبوع . .
وصبايا الخضراء وفتياتها يهدرون المياه
ليسقوا الورود والأزهار ، ومن أراد أن
يروى الورود فعليه أن يتحمل العطش
وأضاف أبو الذهب : حفرت آباراً لإرواء
البشر ولا يهمنى الشجر والورود ، أنا أكره
الأخضر ، قلت ذلك سابقاً وأقوله الآن .

فتيات الخضراء أفلعن عن التنزه فى
شارع الخضراء الرئيسى واعتصمن فى
البيوت . مرة سأل أحد الشباب جارتة
الصبية : لماذا أهملتى الورود المزروعة

على شرفتك ؟ أجابت الفتاة الحسنة :
تأبى الورود أن تتفتح فى ظل العبودية
وعلى أى حال فإن أبا الذهب سيمنع
زراعة الأزهار .

اختفت ، الأعراسُ من الخضراء ...
غادة الخضراء رفضت الزواج من أمير
أحلامها وأسرت لإحدى صديقاتها : لن
أسكنَ فى بيت يكون لأبى الذهب الحق
بطردى منه متى يشاء ... لن أكون حرة
إن لم أتحرر من الارتهان إلى أبى
الذهب . أنا مستعدة لأبقى عذراء مدى
الدهر إن لم أسكن بيتاً يكون ملكاً لى
وأضافت غادة الخضراء ساخرة : لا
تستغربى يا أختاه إن خطر لأبى الذهب
يوماً تحديد نسل المستأجرين . فالتقنين
بدأ بالمياه والكهرباء ، ولا نعرف أين
ينتهى ... !

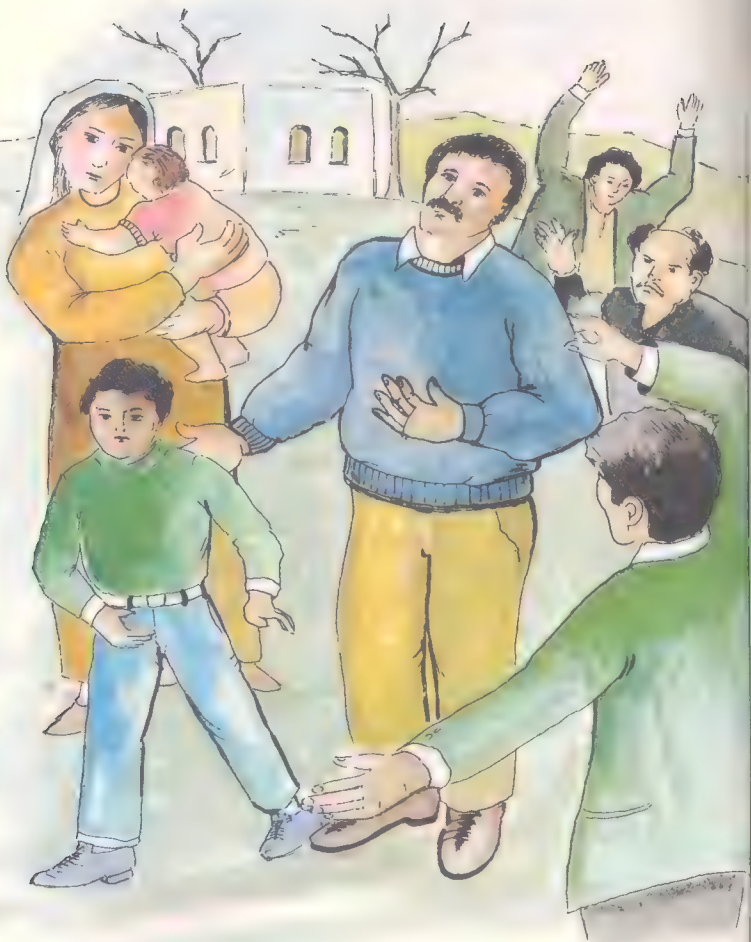
لن تكون الخضراء عاقراً
أرض الخصب والولادة
لن يبقى الأخضر سجيناً
إنها الحياة تخرج من بذرة خضراء



كان المطر غزيراً والبرد قارساً في صباح
ذلك اليوم من شهر فبراير ، عندما انتهت
مدة الإنذار الذى وجهه أبو الذهب لأحد
المستأجرين بإخلاء البيت بسبب عدم
دفعه قيمة الإيجارات لعدة أشهر . . .

فى هذا الصباح البارد أخرج الرجل
وزوجته وطفليه من البيت ، حاول
المقاومة، لكن أزالام أبى الذهب وزبانيته
أرغماه على الخروج ، ثم أقفلوا الباب
بعدما تم حجز محتويات البيت .

جلس الرجل وزوجته وطفلاه تحت



إحدى الشرفات فى ساحة الخضراء سأل
الطفل الذى لم يتجاوز السادسة أباه : أين
ننام الليلة ، وأين أدرس دروسى ؟ .

لم يجب الأب وظلَّ سؤال الطفل
معلقاً فى سماء الخضراء . كما لافته أبى
الذهب «بيوت للإيجار» .

كان أهالى الخضراء يراقبون ما حصل
باشمزازٍ وغضب من دون أن يقوموا بأى
عمل ، لكن جميع من مرّوا بالساحة ألحوا
على الرجل بدعوته إلى بيوتهم لينزل
عليهم ضيفاً . . . والرجل مصر على
رفض جميع الدعوات .

رجلٌ وزوجته وطفليه ، يقيمون فى
العراء بعدما طردهم أبو الذهب من
البيت . انتشر هذا الخبر فى الخضراء ،
وبدأ الرجال يتوافدون إلى الساحة ، وكل

منهم يقول : عارٌ علينا جميعاً أن يكون
أحد أبناء الخضراء ملقىً فى الشارع .
اكتظت ساحة الخضراء بالرجال الذين
بدأوا بتوجيه اللوم إلى الرجل :

قال أحدهم : عيب عليك أن ترفض
ضيافتنا ، فالضيافة من عاداتنا وتقاليدنا هياً
قم فجميع البيوت بيوتك . . . لم يجب
الرجل وظل صامتاً .

قال رجل آخر بلهجة عتاب : لو رآك
غريب فسيقول إن أهالى الخضراء فقدوا
الشهامة وكرم الضيافة . . . ظل الرجل
صامتاً .

وقال رجل ثالث بانفعال : إن سلوكك
يسئ إلى الجماعة ، إلى القيم التى نؤمن
بها جميعاً .

وقال رجل رابع : سنحملك عنوة على
قبول ضيافة أحدنا .

تدخل رجل خامس وقال : إنه ابن
عشيرتي وأنا الأحق باستضافته ... ثم
تقدمت إحدى النسوة وأخذت زوجة
الرجل من يدها تريد اصطحابها إلى
بيتها ... وعلت الأصوات استنكاراً
لسلوك الرجل وساد ساحة الخضراء هرج
ومرج .

وسط هذا الصخب وقف الرجلُ وصاح
بأعلى صوته :

إخواني أهالي الخضراء ، رجالها
ونسائها ، لقد سمعت وجهات نظركم
جميعاً ، وسأكون قيد أوامركم جميعاً إن
قبلتم سماع وجهة نظري . سمعت أحدكم
يقول : إنه من العيب عليّ أن أرفض

ضيفتكم لأن الضيافة من عاداتنا
وتقاليدنا . . . صحيح ما قاله الرجل ،
لكن الضيف ينزل ضيفاً على صاحب
البيت ، وأعتقد أن من كان يدعوني
لضيافته هو نفسه ضيف عند أبي الذهب ،
وربما جاء يوم طرده فيه أبو الذهب من
البيت هو وضيفه . . وقد سمعت آخراً
منكم يقول : أنه لو رآني غريب فسيقول
أن أهالي الخضراء فقدوا الشهامة : أنا
لست غريباً وأقول لكم ، إنكم إن سكتم
وطال سكوتكم عما أنتم فيه فستفقدون
الشهامة فعلاً ، لستم أحراراً في بيوتكم ،
والشهامة لا تكون لغير الأحرار .

وسمعت منكم من يقول : أن بقائي
في العراء يسىء إلى الجماعة ، ألا يسىء
سلوك أبي الذهب إلى الجماعة ، رجل
واحد يتحكم بحاجة وحرية الآخرين . أما

من قال بأنه سيحملنى عنوة إلى بيته ، فإن
كان شهماً وشجاعاً إلى هذا الحد فليعدنى
عنوة عن أبى الذهب إلى بيتى الذى
طردنى منه ... أين كانت الشهامات
والكرامات عندما طرد الكثيرون عنوة من
بيوتهم ... لماذا لم يتصدَّ أحدٌ منكم
إلى زبانية أبى الذهب عندما أرغمونى
على الخروج من بيتى؟! .

ران صمت على الحضور وتابع الرجل
حديثه وقد زاد صوته ارتفاعاً : أبو الذهب
منع عنكم الشمس والنور ، منع الماء
والهواء ، رفع الإيجارات ، وها هو ينكّل
بنا الواحد تلو الآخر ، ولن أكون آخر
المطرودين من بيوتهم ، كلٌّ منكم مطرود
من بيته ، والتنفيذ فى وقت لاحق ...
خرجتم من فم الغول فى المصانع ودخلتم
إلى بطنه من خلال إيجارات البيوت ...
ستعود إلى بيتك عنوة ، سيعود جميع

المطرودين إلى بيوتهم أجل ... أجل
البيت لساكنه ، صيحة دوت في سماء
الخضراء .

* * *

كان عددٌ من السيَّارات يتقدم نحو
ساحة الخضراء ، سيَّارة أبي الذهب تتبعها
ثلاث سيارات لأعوانه تقدمت السيارات
مسرعة واخترقت الحشد الموجود في
الساحة صدمت إحدى السيارات مواطناً
فأصيب بجروح وسال الدم على وجهه
وثيابه ... حاصر الأهالي أبو الذهب
وزبانيته ، وعندما رأى أبو الذهب أن
معركته ستكون خاسرة قال لأهالي
الخضراء ، دعونا نصل لاتفاق إنما عن
طريق القانون ... فأنتم تعبثون
بالقانون ، وتغتصبون أملاك الغير ، أنا
تعبت بمالي وبنيت هذه المنازل ، وأنا



مستعد لأن أبيعها لكم بالتفسيط أجابه
أحدهم ! نحن نعبث بقانونك ، وأنت
تعبث بحياة البشر ، الرجال والنساء
والأطفال ، القوانين الطبيعية وضعت
لخدمة البشر وقانونك وضع لاستعبادهم .

صرخ أبو الذهب بأعلى صوته : لقد
قلتم سابقاً فى المصانع شركاء لا
أجراء . . . وماذا تريدون اليوم ، ماذا
قدمتم لبناء البيوت ؟! وقف أحدهم وكان
من المستأجرين القدامى وقال : اسمع يا
أبا الذهب لقد أخذت منى أموالاً
تكفى لبناء ، عشرة بيوت ، لقد نلت
حقك . . . أضعاف .. أضعاف .

ضاق أبو الذهب ذرعاً وصرخ بصوت
هستيرى مجنون :

وماذا تريدون منى . . . قولوا .

صرخ الجميع بصوت واحد ، البيت
لساكنه .

* * *

مدّ أبو الذهب يده إلى جيبه ، أخرج
مسدسه وقبل أن يطلق طلقة واحدة ، كان
مرمياً على الأرض والدماء تسيل من رأسه
 وأنفه . . . فى المكان نفسه الذى نصب
فيه الأطفال كميناً لأبى الذهب ، والبذلة
البيضاء نفسها التى كان يلبسها آنذاك وفى
الساعة نفسها ظهرت بقع من اللون الأحمر
على ثياب أبى الذهب ، لم تكن سائل
الطماطم ، كانت بقع من الدم الأحمر .

* * *

فى بيت أبى الذهب ، وعلى المقعد
نفسه الذى جلس عليه مع مدير أعماله
مرتزق بعد خروجه من المصنع ، قال أبو

الذهب لمرتزق ، لن يفلت منى أبناء
الخضراء ، استرجعوا المصانع والبيوت ،
لكنهم خسروا الأرض ، ولن أسمح لهم
بزراعة الأرض إلاّ بشروط . . قاطعه مرتزق
قائلاً: الآن عرفت لماذا كنت تشتري
الأرض يا أبا الذهب.

فى الأيام التالية رفعت لافتة فى ساحة
الخضراء كتب عليها ، البيت لساكنه ، لا
يوجد بيوت للإيجار . . .

وفى اليوم الثالث تفتحت الورود على
الشرفات وقامت الصبايا بنزهة المساء فى
شارع الخضراء الرئيسى يحملن باقات
الورد . وكان الصوت نفسه :

يا قمر أضناني بعده
ردى لولهان رشده

عجباً.. عجباً.. ماذا أرى
أظيئة حسن تحمل ورده
وفى اليوم الرابع كان عرس غادة
الخضراء على أمير أحلامها ...
قال الابن لأبيه: بعدما أصبح البيت
لساكنه صار بإمكانى وأخى الأصغر أن
نغنى :

سقف بيتى حديد ركن بيتى حجر
فاعصفى يا رياح وانتحب يا مطر
واسبحى يا غيوم واهطلى بالمطر
واقصفى يا رعود لست أخشى خطر



Bibliotheca Alexandrina



0385458



500 درهم ليبي أو ما يعادله



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر

هاتف: 40705 - 45565 - 45594

مبرق: 20032 - 20668 GREEN BOOK

ص.ب: 4491 - طرابلس - الجماهيرية